

كتاب الأغاني

للأستاذ حسن خطاب الوكيل

طبع كتاب الأغاني بالطبعة الأميرية في عشرين جزءاً انتهى بأخبار عمارة بن عقيل الخطاطي . ومنذ خمسين عاماً ظهر في عالم المطبوعات الجزء الحادي والعشرون من هذا الكتاب المستطاب . قام بنشره وطبعه المستشرق رودلف الأسريكي في مدينة ليدن سنة ١٨٨٨ ، وحدث في سنة ١٩٢٦ أن أديباً فاضلاً ونبيلاً من النبلاء رغب إلى دار الكتب المصرية في أن تقوم بطبع الأغاني على نفقته ، فلما تمت بتنفيذ هذه الرغبة للناقمة لم تترف بالجزء الزائد على المشرى للأسباب الآتية :

١ - أنه لم يصدره ناشره بمقدمة يبين فيها أصل النسخة التي نشره عنها ولا في أي المكتبات عثر على هذه الزيادة
٢ - أن أسلوبه ضئيف لا يشبه أسلوب أبي النرج في المشرى جزءاً المتقدمه
٣ - أنه يشرح في كثير من الأحيان الألفاظ الغريبة التي ترد في أبيات الشعر ، وهي طريقة غير معهودة في الكتاب . فالجزء الأول مثلاً على كثرة ما فيه من الألفاظ الغريبة لم يشرح منها إلا القليل النادر ، وقد لا يعدو ما شرح في هذا الجزء من هذا للتبيل أربع أو خمس كلمات

٤ - أنه في هذا الجزء يشرح أحياناً المعاني التركيبية لبعض الأبيات ، ولم يهد مثل ذلك في الأجزاء الماضية
٥ - أنه يكتب كثيراً كلمة - صوت - على شعر لم يكن فيه ، وطريقة الكتاب ألا تكتب هذه للكلمة إلا على الشعر الذي يتحدث بمد أنه وقع فيه غناء ... الخ

ونحن نعلم بأن (رودلف) قد قصر في أنه لم يصدره بمقدمة وأنه لم يذكر في أي المكتبات عثر على هذا الجزء ... الخ ولكن هذا لا يكون حجة في أنه ليس من الكتاب إذ كل هذه الاعتبارات إنما هي مجرد ملاحظات غير محدودة ، ولا تنهض دليلاً على أن الجزء ليس من الكتاب ، ومن المحتمل أن يكون لكتاب الأغاني بقية لم تظهر بعد ، أو تناولها أيدي الضياع .

وها هو ذا يا قوت يتحدث إلينا في كتابه معجم الأدياء عن الأغاني ويؤيد قولنا هذا حيث يقول : (وقد تأملت هذا الكتاب وعينت به ، وطالته مراراً ، وكتبت منه نسخة بخطي في عشر مجلدات ، ونقلت منه إلى كتابي الرسوم بأخبار الشعراء فأكثر ، وجمت تراجمه فوجدته بمد بشيء ولا يبق به في غير موضع منه كقوله في أخبار أبي العتاهية - وقد طالت أخبارها ها هنا ، وسند ذكر خبره مع عتبة في موضع آخر ولم يفعل . وقال في موضع آخر - أخبار أبي نواس مع جنان إذ كانت سائر أخباره قد تقدمت - ولم يتقدم شيء ، إلى أشباه ذلك . والأصوات المائة هي تسع وتسعون . وما أظن إلا أن للكتاب قد سقط منه شيء أو يكون للنسيان قد غلب عليه والله أعلم)

هذا كلام يا قوت ، ومنه يحتمل أن للكتاب له بقية محتملة أو هو قد سقط منه شيء لطول اللمهد ، وعليه فلا يبعد أن يكون الجزء المتحدث عنه هو منه ، وها هو ذا الإمام الجليل ابن منظور صاحب لسان العرب ينقل عن الجزء الحادي والمشرى في مختصره مختار الأغاني في الأخبار والتهاني منذ ستمائة عام مضت على مختصره هذا حديثاً طريفاً عن إسحاق الموصلي وغلمايه زياد لم تذكر بعد إلا في الجزء الحادي والمشرى .

حديث إسحاق وزبياد

إسحاق الموصلي من مشاهير الأدياء وأهل الغناء ، وأخباره في كتاب الأغاني قد لا يخلو منها جزء منه ، وله حكاية طريفة وأشعار طويفة في غلام له اسمه زياد لم تذكر إلا في الجزء الحادي والمشرى من الكتاب ، وهذه الحكاية هي عماد بحثنا في أن الجزء المشار إليه هو من الكتاب ، لأننا وجدنا العلامة ابن منظور نقلها عنه واختصرها منه
جاء في أول الجزء الحادي والمشرى طبع ليدن والتي ادعاه رودلف ما نصه :

خيلبي هيا نصطبح بسواد وزرو قلوباً هامهن سواد وقولا لساقينا زياد برهما فقد هن بعض للقوم سق زياد الشعر والغناء لإسحاق ، ولحنه من للتفيل الأول بالنصر - خبر إسحاق مع غلامه زياد - هذا الشعر يقوله إسحاق في غلام له مملوك خلاصى يقال له زياد ، كان مولداً في مولدى المدينة فصيحا طريفاً فجمله ساقيه وذكره هو وغيره في شعره ،

ثم غشنا صوته « خليلي هيا نصلبح بسواد » فقلنا له يا أبا محمد من هو زياد الذي غنيتته قال : هو غلامى الواقف بالباب ادعوه يا غلمان ، فأدخل إلينا ؛ فإذا هو غلام خلاصى قيمته عشرون ديناراً أو نحوها فأمسكنا عنه فقال : أتسالونى عنه فأعزكم إياه ويخرج كما دخل وقد سمتم شمري فيه وغنائى . أشهدكم أنه حر لوجه الله وإنى زوجته أمتى فلاة فأعيتوه على أمره قال : فلم يخرج حتى أوصلنا إليه عشرين ألف درهم أخرجناها له من أموالنا . أخبرنى يحيى بن على بن يحيى قال : حدثنى أبى قال توفى زياد غلام إسحاق الذى يقول فيه . وقولا لساقينا زياد برقها ، فقال إسحاق برثيه :

فقدنا زياداً بعد طول صحبة (كذا) فلا زال يسقى للنيث قبر زياد
ستيكيك كاس لم تجد من يديرها وظآن يستبلى الزجاجة صاد
أخبرنى عمى قال حدثنى ابن السكى عن أبيه قال اصطبج
محمد الأمين ذات يوم وأمر بالتوجيه إلى إسحاق فوجه إليه عدة
رسل كلهم لا بصادفه حتى جاء أحدهم به فدخل متشياً ومحمد
مغضب فقال له : أين كنت ويك . قال : أصبحت يا أمير المؤمنين
نشطاً فركبت إلى بعض الفنزهاستعطبت الموضع وأقمت فيه
وسقانى زياد فذكرت آياتنا الأخطال وهو يسقىنى فدار لى فيها
لحن حسن وقد جئتك به فتبسم ثم قال هات فإزال تأتى بما يرضى
عناك عند السخط ، فغناه

صوت

إذا ما زياد على ثم على ثلاث زجاجات لحن هدير
خرجت أجزالديل زهوا كأننى عليك أمير المؤمنين أمير
قال بل على أيبك . قبح الله فملك . فإزال إحمانك
فى غنائك يحو أساءتك فى فملك وأمر له بألف دينار — للشمر
فى هذين البيتين للأخطال والغناء لإسحاق رمل بالبصرة —
ورواية شعر الأخطال : إذا ما ندبى على ثم على ، وإنما غيره
إسحاق إذا ما زياد

هذه حكاية إسحاق التى لم توجد إلا فى الجزء الحادى والعشرين
من الأغانى وهى التى أقرها ابن منظور فى مختصره ونقلها عنه .
فهل بد هذه البيانات الأكيدة لقائل أن يقول إنه ليس من
الكتاب فى شيء !
مسرح خطاب الركيل

فمن ذكره من الشعراء دعبل وله يقول : أخبرنى بذلك على بن
سليمان الأخفش عن أبى سعيد البكرى قال : كان زياد الذى
يذكره إسحاق فى عدة مواضع منها قوله : وقولا لساقينا زياد
برقها « نظيف للسقى لبقا . فقال فيه دعبل :

يقول زياد قف بصحبتك مرة على الربع مالى والوقوف على الربع

صوت

أدراها على فقد الحبيب فربما شربت على نأى الأحبة وللنجع
فا بلغتنى الكأس إلا شربتها

وإلا سقيت الأرض كأساً من الدمع

غنى فى البيت الثانى والثالث من هذه الأبيات محمد بن العباس
ابن عبد الله بن طاهر لحناً من خفيف الثقيل الأول بالبصرة .
قال أبو الحسن : وقد قيل إن هذين البيتين (يعنى خليلي هيا
نصلبح بسواد) للأخطال . أخبرنى على بن سليمان قال حدثنى
أبى قال : قال لى جعفر بن معروف للكاتب (وكان قد جاوز
مائة سنة) لقد شهدت إسحاق يوماً فى مجلس أنس وهو يتغنى
هذا الصوت (خليلي هيا نصلبح بسواد) وغلامه زياد جالس
على مسورة يسقى وهو يرمئ غلاماً أسفر رقيق البدن حلو
الوجه ، ولا أحد يراجه ولا أحد يستطيع يقول له زدنى
ولا أقصنى . أخبرنى على بن صالح بن هيثم الأنبارى . قال حدثنى
أحمد بن المهيم (يعنى جد أبى رحمه الله) قال : كنت ذات يوم
جالساً فى منزلى « بسر من رأى » وعندى إخوان لى ، وكان
طريق إسحاق فى مضيئه إلى دار الخليفة ورجوعه منها على . فجاءنى
الغلام يوماً وعندى أسدقاء لى فقال لى : إسحاق بن إبراهيم الموصلى
بالباب فقات له : قل له ويك : يدخل أو فى الخلق أحد يستأذن عليه
لإسحاق . فذهب للغلام ويأدرت أسى فى إثره حتى تلقيته فدخل
وجلس منبسطاً آنساً فمرضنا عليه ما عندنا فأجاب إلى الشرب
فأحضرناه نبيذاً مشمساً فشرب منه ، ثم قال : أجهون أن أغنيكم
قلنا : أى والله أطل الله بقاءك إنا نحب ذلك قال : فلم لم تسألونى ؟
قلنا : هبتك والله قال : فلا تفعلوا ثم دعا بعود فأحضرناه فاندفع فننا
فشربنا وطربنا فلما فرغ قال : أحسنت أم لا ؟ قلنا : بلى والله
جملنا الله فداءك لقد أحسنت قال : فامتمكم أن تقولوا لى أحسنت
قلنا الهيمية والله لك قال : فلا تفعلوا هذا فيما تستأنفون إن المنى
يجب أن يقال له غن ، ويجب أن يقال له إذا غنى أحسنت قال :